شقة جاردِن سيتي

info@darak-eg.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

شقة جاردِن سيتي
فاطمة طلال
تصميم الغلاف: محمد علي
فوتوغرافيا: ميشيل حنا
تدقيق لغـوي- تنسيق داخلي:
www.sekoon.com
رقم الإيداع: 2017/25735
الترقيم الدولي: 978-977-6634-03-9
الطبعة الأولى: 2017

فاطمة طلال

شقة جاردِن سيتي

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى تلك القلوب التي ماتت قبل أن تذوق شهد الحب في الوقت المناسب..

إلى هؤلاء الذين أفنوا العمر في سراديب الضياع..

إلى كل روح جازفت بالمستحيل لتقبض على جمر «الممكن»..

إلى حكايا الشتاء العتيق، الخالدة في الذاكرة..

إلى همسات الربيع القابعة في زقاق الحب..

هنا والآن سَترون بين بضعة سطور الرواية، الحب في حياة «البعض» ماذا كان وكيف سيكون...

٤٤٤٤ ٤٤٤

إلى إدارة كافيه «شقة جاردِن سيتي» على التعاون والموافقة بأن تحمل الرواية نفس اسم الكافيه.

(1)

«خالد، إليانا»

دقَّ جرس المنبه وصحوت كعادتي كل صباح لأذهب إلى العمل، نظرت بجانبي وإذ بي لا أجد «إليانا» نائمة.. اندهشت فأنا أعلم أنها لا تصحو مبكرًا ولكني لم أكترث كثيرًا! لربما تسهر على أحد الأفلام التركية التي باتت مؤخرًا موضة لجميع النساء الفارغات! ليس لدي وقت كثيرٌ لأفكر في هراءاتها، عليَّ أن أنهض.. ذهبتُ إلى الحمَّام لأغسل وجهي لأرى الحبوب المهدئة منثورة في حوض الحمَّام.. تجمدت عروقي ذعرًا وركضت أبحث كالمجنون عن «إليانا» لأراها ملقاة أرضًا.. جسدها بارد وعروقها الزرقاء ترقص بكل وقاحة أمام مرآي، تثير جنوني وحماقاتي.. مسكت يدها وحاولت أن أستشعر نبضها وحمدًا لله وجدت نبضًا يسري بها.. حملتها سريعًا وركضت بها إلى أقرب مشفى وهناك قاموا بعمل اللازم لها.. المرة الثالثة التي تحاول فيها الانتحار! وصل يأسي إلى حد الذروة.. مللت وسئمت من محاولاتي معها، بتُّ أخشى الشجار معها خوفًا من أن أصحو اليوم التالي على خبر وفاتها انتحارًا.. ميولها تلك تمزقني كل ليلة.. هل جربتم الحياة مع شخصٍ لا يبالي بك ولا يبالي بالحياة برمّتها! هل جربت أن تحبس أنفاسك كل ليلة ارتياعًا

من المستقبل؟ أن تعيش حياتك مع إنسان في أقرب فرصة قد تجده اختار أن ينسحب من العالم فجأة! إنسان جلس يفكر بعقل معتوه، نصف إدراكه عليل والنصف الآخر يسبح في ملكوت مريض، تقتات الأفكار العفنة عليه لينهض بكل برود وينهي حياته في ثوانٍ.. ينهيها دون أن يعي ماذا سيفعل بقلوب تسكن حوله.

أحببتها حين كنا بالجامعة، من بين سِرب الفتيات الطويل جذبتني هي واستطاعت أن تذيب كل حواس عقلي، فتقربت إليها ثم اكتشفت الحقيقة المفجعة! من أحببتها تعاني من ميول انتحارية، لم أستطع حتى وقتي هذا أن أعرف أسبابه ولا الحلول التي تستطيع أن تجعلني أنتشلها من تلك البؤرة المخيفة الواقعين بداخلها منذ سنوات.. في البداية قدَّرت حجم الصدمة، وقفت بجانبها وأكدت لها بأني سأكون الحياة برمَّتها لها.. كانت كالجثة التي تلتقط أنفاسها من حينٍ لآخر.. وعي مشوش وغير مدرك بنصف الأشياء التي تدور من حولها.. تلك الفتاة الرقيقة بداخلها كائن يملؤه السواد و يحتل أرجاءه دون رحمة ودون شفقة.. ترفض الحياة رغم وجودي معها فقررت أن أسرع بزواجنا لأحتويها أكثر.. لم تكن كأي عروسٍ متشوقة وتُعد ترتيبات زفافنا.. بل أنا من أعددت كل شيء! اخترت كل شيء وحدي! حتى ثوب زفافها لم تبالِ باختياره وكأني أرغمها على الزواج! سألتها يومًا:

– هو انتِ بتحبيني يا إليانا؟

نظرت لي بمقلتيَّ تكاد تميزني بصعوبة:

– طبعًا، وإلا مكنتش وافقت على جوازنا.

– طيب ليه مش حاسس بفرحتك؟

صمتت قليلًا، وشعرت بكل ثانية كأنها سكين تنحر شريان من شرايين انتظاري ثم أجابت ببرودٍ:

– هو أنا مش عارفة شعور الفرح ده عامل إزاي أوي؟ أنا تقريبًا مش فاكرة إمتى آخر مرة فرحت فيها من قلبي؟ هو أنا إمتى آخر مرة أصلًا ضحكت من قلبي بجد؟

– حبيبتي، أنا عارف وحاسس بيكِ، بس إيه رأيك نروح لدكتور سوا؟

قاطعتني بحدة:

– أنا ما اتجننتش على فكرة عشان أروح لدكاترة! كون بقى إنك مش مقدَّر مشاعري فَدي مشكلتك انت مش مشكلتي أنا!

– أنا ما أقصدش على فكرة، كل الموضوع إني حاسس إن حزنك واخدك من كل الناس اللي حواليكِ! حزنك واخدك من نفسك حتى.

– لو كلامك ده صحيح ما كنتش وافقتك على التاريخ اللي حددت فيه جوازنا.

– أيوه بس أنا اللي لوحدي بعمل كل حاجة اللي المفروض إنتِ اللي تكوني بتتحايلي عليَّا إني أشاركك فيها وانتِ بتعمليها..

– لو حاسس إني بقيت عبء وضغط عليك، سيبني يا خالد.

– ما بقولش كده عشان ده يكون ردّك، أنا بس عايز أحس إنك معايا.. إنك هتتجوزيني! مش إني بتجوز نفسي! وعلى العموم أنا آسف لو ضايقتك بكلامي، ده بس من حبي وخوفي عليكِ وأكيد كل حاجة بعملها بتفرحني لأني نِفسي اليوم اللي نبقى فيه على طول مع بعض يجي بسرعة.

– كويس إنك خدت بالك إنك حقيقي ضايقتني.

من يجلس معنا، يظن بأنني أجبرتها على الزواج بي، يظن بأنها تتنصل مني، لا تريدني ولا تحبني! ولكن هذا هو مقدار حبها. وكأن قلبها توقَّف عن نبض المشاعر منذ زمن. وأن القلب الساكن بداخلها لا ينبض سوى لتعيش. تزوجتها لأصحو بعد ليلة زفافنا على سائل رطب ساخن، لزج يزعجني من نومي العميق.. فتحت عينيَّ بصعوبة لأجدها غارقة في دمائها وشريان من شرايينها ينثر كل ما في جوفه من دم! هول المنظر جعلني أتساءل: هل اقتحمَ لصٌّ منزلنا وقتلها! أم هاجمنا قاتل محترف وأنا في غيبوبة نومي وذبح عروس صباح أول ليلة زفاف لها! وحين استوعبت أنها تنزف حاولت أن أكسر جليد ذعري وركضت بها إلى المشفى لأدرك أن حبيبتي الوحيدة قررت أن تنهي حياتها بكل برودٍ وبدون رحمة ولا شفقة بي في أول يومٍ لنا سويًّا!!

* * *

أسمعهم بين الحين والآخر منذ زمن قديم يتجادلون حول ما أصابني.. اجتماعات ونقاشات كثيرة ومائدة حديث عريضة لا ينضب ما فوقها من خبراتهم السئيمة حول الحياة وحكايتها وقصصها التي تشبه حكايتي! وبتُّ فجأة وكأني من كوكبٍ آخر!! كائن شفرات التعامل معه أُلقيت في عرض البحر.. يتعجبون من رفضي للحياة؟! ولماذا أحبها؟ وماذا يبقيني وقد فقدتُ «شهيتي» لحياتهم تلك.. يوميًّا أغفو وذرات القلق تبحر داخلي، وأفيق على ترانيم التوتر داخل قوقعة أذنيّ، تصرخ كيفما شاءت وتعيث فسادًا في صحوتي وتركيزي.. أنظر كثيرًا في أعينهم وأحاول أن أبقيهم معي، ولكن هلامات الظلام تسحبني

لأسفل الدرك، أغوص بعيدًا عن الجميع بما فيهم مَن أحببته.. لا أعلم ما حقيقة شعوري حقًّا تجاه خالد! ولكن حسب العُرف والتقاليد فهو زوجي إذًا هو حبيبي.. ولكن ماذا عن شعوري أنا؟ لا أعلم؟ أشعر أوقاتًا كثيرًا أني فقدت معنى الإحساس! لا يمكنني أن أتذوق طعمًا للمشاعر.. بل تلك المشاعر التي يخوضون فيها معارك ويتقاتلون من أجلها أوقاتًا، وئدت داخلي منذ زمنٍ طويلٍ.. منذ أن كنت طفلة كل همها آنذاك أن تحصل على المزيد من الحب والعطف والاهتمام! طفلة لم تعش أبدًا معنى المغامرة!

هل أخبركم عن ليالي الأنين؟ هل أخبركم عن نفسي كل مساء كيف تخرج من رحم الشجن؟ هل أخبركم عن تلك الأفكار السوداء التي تجعلني لا أشعر بذاتي! كل هذا يجعلني أقدم على قرار واحد، واحد فقط يريد مني الخضوع وحين يدق جرسه لا بُد من الاستسلام والإذعان.. وفي تلك الليلة، ليلة زفافي دق جرس القرار بعدما خلد خالد إلى النوم، نهضت بهدوءٍ وأتيت بشفرة الحلاقة ونزعت بها روحًا من أرواحي تتنزه بسذاجة داخل شرياني لأعلن تمرُّدي وصخبي على تلك الكرة الأرضية! كل ما كان يجول بداخلي وقتها هو أن أغرُب بعيدًا عن الجميع! كلهم نفس الوجوه، نفس العيون القاتلة بنظراتها، مشاعرهم بغيضة لونها رماديّ يبعث الإحباط لي.. نفوسهم ليست مثلي.. مثلي خُلِق من أجل حياة أخرى لا أجدها في كنفهم فماذا يبقيني؟ لهذا سأرحل وإن فشلت سأحاول مرة أخرى.. فبقاؤهم حولي يشعل دومًا فتيل الاحتياج للغروب

* * *

«مالك، ليال»

ينعتونني بالقاسي دومًا، ولكن ما هو مفهوم القسوة في نظرهم؟ ما هو الشيء الذي جعلهم يلصقون صفة مثل هذه فوق جيدي! ولكن لماذا أفكر في آرائهم فدعونا نتفق بأن شئنا أم أبينا مهما فعلنا فلن نعجب الجميع! إذًا فلأعش هذه الحياة كما أريد.. قاسٍ؟! إذًا أنا قاسٍ ولا أكترث لظنونهم الحمقاء.. فليأتوا ويعيشوا حياة كالتي عشتها وحينها سيدركون معنى القسوة الحقيقي.. كنت في أوجّ انشغالي حين رأيت ساعي العمل يُسلمني طردًا مجهول الهوية.. لا اسم ولا عنوان.. تفحصته يمينًا ويسارًا وقلبته في يدي كمن يقلب دجاجة للشوي على نار الغموض، وفتحته ببطءٍ شديدٍ وكأني أتوقع انفجار قنبلة ريثما أفتح هذا الظرف «الأحمر». وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى رأيت أقراصًا لا أفهم ما هي، وقرصًا مدمجًا لفيلم قصير.. وضعت الفيلم بجهاز الحاسوب الشخصي وبدأت أشاهده، فيلم تسجيلي لا أفهم ما هو سبب إرساله لي؟ ولا أفهم مَن هذا المعتوه الذي أرسل لي هذا الجحيم الغامض؟ على كلٍّ فلتذهب محاولاته سُدى طالما لم يرسل اسمًا أو عنوانًا.. اكتفيت بهذا القدر من العمل وألقيت بالرسالة في أحد أدراج المكتب دون مبالاة وملمت أغراضي وعدت إلى المنزل.. هناك وجدت «ليال» تشاهد التلفاز كعادتها ولم تحضر الطعام. انتابني الجنون، لا أعلم منذ متى أصبحت بليدة المشاعر هكذا؟! تعلم بأني أعود إلى المنزل مُنهكًا ومتعبًا جدًّا، فمِن أقل حقوقي أن تحضر لي ولو القليل الذي يسد رمقي!

– ما حضرتيش الغدا ليه يا ليال؟

بكل بلاهة:

– وأحضرّه ليه؟ أنا لسه مش جعانة!

بسخط وصوتٍ عالٍ:

– يعني إيه مش جعانة؟! والحيوان اللي طالع عين أهله من الصبح في الشغل يعمل ايه؟

– ما نفس الحيوان ده، فيه حيوانة برضو بتشتغل زي البقرة 24 ساعة في البيت.

– فين ده؟ لما أقل حاجة اللي هو الغدا ما عملتهوش؟!

– الطفح اللي بتتكلم عنه أعمله إمتى وأنا من الصبح شقيانة على بنتك اللي لسه مخلفاها، من رضاعة وغسيل وتحضير وفوق كل ده بتعيط 24 ساعة! دي يادوب لسه مرضعاها ويادوب لسه نايمة! ما تراعي بقى ربنا فيَّا ولَّا انت اشترتني!

تلعثم لساني وتحجرت جميع الأحرف بين فكي! حقيقة مُرعبة أُلقيت في وجهي! حقيقة قارصة شلَّت جميع حواسي.. يا إلهي، ماذا أفعل بها؟! بل ماذا أفعل لها؟! لم أجب عليها.. تركتها وأدرت ظهري لها وأخذت محفظتي وخرجت مرة أخرى إلى الشارع! لعل وعسى أستطيع أن أتنفس حرية أو أن أتنفس حياة تبقيني على قيد الحياة!

* * *

خرج وتركني مع نفسي ومع ابنته الرضيعة أهذي! لم يبالِ بي، ولم يبالِ بمشاعري وبمجهودي.. ليس هذا زوجي الذي قبلت الزواج به منذ ثلاثة أعوام.. ذاك كان حنون القلب، يحبني، يجيد الاهتمام بي، يكترث لتعبي.. أما هذا متعجرف وأناني، لا يهمه ما أمرّ به.. قالت لي الطبيبة بأني أعاني من اكتئاب ما بعد الحمل وأخبرته بذلك،

ولكنه لم يهتم.. لم يصغَ لآهاتي التي تخرج كل ليلة من صياح الطفلة الصغيرة! لم يطلب مني يومًا أن أنام ويسهر هو يرعاها. طلبت منه منذ يومين أن نحتفل بقدومها فأجابني ببرود شديد:

– مالوش داعي..

– يعني إيه مالوش داعي؟ بقولك نعمل سبوع للبنت!

ظل ينظر لي جاحظ العينين ثم ضغط على فك أسنانه:

– مش هعمل كده يا ليال..

صرخت في وجهه:

– كل ده عشان جبت بنت؟! كل ده عشان ما قدرتش أجيبلك الولد اللي طول عمرك كنت بتحلم بيه! تحرمني أنا وبنتك بأول فرحة لينا؟!

دوت صرخته في أرجاء الشقة وهو يقول:

– ما تكفرينيش بقى، قلت مافيش زفت يعني مافيش زفت وده آخر كلام عندي والموضوع انتهى ومش قابل للنقاش!

وتركني أجهش في البكاء وخرج.. لم يعد إلا الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. لم يعتذر لي.. بل لم يلقِ السلام حتى، بدَّل ثيابه ونام.. وجلست أبكي وأنعي حظي وحظ ابنتي الصغيرة التي أتت لأب حتى الآن لم يلمسها!!

قالت لي أمي يومًا بأن الحب شيء والزواج شيءٌ آخر! كنت دومًا في خلافٍ معها، أرفض كل معتقداتِها.. بل أوقات كثيرة كنا نتشاجر سويًّا لأنها تتحداني دومًا في مسألة الرجال.. تقول لي «يا فتاتي الرجل قبل الزواج شيءٌ لطيفٌ لا يوجد مثله في الكون، تشعري حينها أنكِ